الغاية من تأسيس قورينا

د. محمد طاهر الجراري
مركز دراسة جهاد الليبيين
ضد الغزو الايطالي

لم يكن تأسيس قورينا بالبساطة التي قدمها لنا فيها هيريدوت ، فالدافع لم يكن المجاعة فقط التي حلّت بجزيرة تيرا ، بل هو جزء من استراتيجية عامة تبناها الاغريق ، وفرضتها عليهم طبيعة صراعهم الدولي مع القوى الكبرى والنشطة في ذلك الوقت[1] ومن بينها قرطاجة . إذ من المعلوم أن للفينيقيين صلات قوية ومباشرة مع غرب المتوسط وشمال افريقيا منذ الألف الأول ق. م. وعلى الرغم من العثور على مصنوعات اغريقية في جنوب أسبانيا تعود الى القرن التاسع والثامن ق. م. إلا أن الراجح انها جلبت من قبل التجار الفينيقيين لتلك الديار . ويذكر هيريدوت (IV 152) أن تاجراً باسم كولايس Kolaies توغل غرباً حتى وصل الى تارتيسيان Tartessian بجنوب أسبانيا حيث وجد سوقاً لم يطأها أحد من الاغريق بعد ، وهي غنية ورخيصة . وقد عاد منها بالكثير من البضائع . وقد ألهبت القصة حماس الاغريق للإتجار والاستيطان والتعامل مع غرب المتوسط وشمال افريقيا . تماماً كما فعلت قصص ماركو بوللو عن ثراء الشرق وقصص بعض المعمرين عن ثراء غرب الولايات المتحدة . لقد سال لعاب الكثير

(١) The Outer Greek World in the Sixth Century, **Cambridge Ancient History** - Vol. IV, Cambridge University Press, - Cambridge 1977, page 109.

يشار له فيما بعد باسم أور Ure .

من المهاجرين المغامرين والتجار وتدافعوا بشكل فردي وجماعي نحو تلك المناطق الغنية لاقتناص نصيبهم من الثروة.

ونظراً لسيطرة الاغريق على شرق البحر المتوسط فقد حرصت فينيقيا الواقعة في نفس المنطقة على عدم التعرض للسفن الاغريقية حتى لا يقطع عليها الاغريق(٢) خطوط اتصالها مع مراكزها التجارية في غرب المتوسط وجنوبه. عليه وجد الاغريق المنطقة شبه خالية من أية قوة رادعة في البداية، فنشطت حركتهم التجارية وحتى الاستعمارية في شمال وجنوب شرق المتوسط. وفي هذا الجو شجعت ساموس Samos حليفتها ثيرا Thera لتأسيس مستعمرة أو مستعمرات لهم في ليبيا لتكون منطلقاً لهم للتغلغل في منطقة الغرب الغنية. فتأسيس مستعمرة في شمال افريقيا سيساعد على حلّ الأزمة السكانية الاغريقية من جهة، ولكنه سيعمل أيضاً على قطع الاتصال المباشر بين قرطاجة، الوريثة القوية للتحالف الفينيقي القديم، وشرق البحر المتوسط بما فيها صور وصيدا وغيرها. وسيؤدي هذا الى إضعاف قرطاجة ويفسح المجال أمام الاغريق خصوصاً في مناطق التنافس التجاري وغيره في صقلية وجنوب ايطاليا وشواطئ أسبانيا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط، وسيتضح هذا في مواقف الصراع المختلفة بين الطرفين كما سيبين فيما بعد. وهذا سيقودنا الى التشكيك في نقطة أخرى ذكرها هيرودوت وتبنّتها المدرسة التاريخية الحالية بلا استثناء تقريباً والقائلة بأن الليبيين كانوا على وفاق دائم مع الاغريق. وما يأتي هو محاولة لإعادة تقييم العلاقة بين الاثنين.

فأولاً الليبيون لم يستقبلوا الاغريق بالترحاب، ومنعوا الاتصال بهم لمدة سنتين أثناء وجودهم على جزيرة بلاتيا الواقعة في خليج بومبا. عادت السفينتان بركابهما المتبين الى موطنهما، فأمرهما وحي دلفي، وهو السلطة العليا في توجيه السياسة الاستعمارية اليونانية، أمرهما بالعودة والاستقرار حيث طلب منهما. عاد الاغريق ومكثوا في منطقة أزيريس (التميمي أو وادي الخليج) أكثر من ست سنوات، بعدها طلب منهم أصحاب الأرض وهم قبيلة

(٢) حول تطور التنافس التجاري والعسكري بين الاغريق والفينيقيين ثم القرطاجنيين فيما بعد، وأثر كل ذلك في التوسع الاستيطاني الاغريقي، أنظر:

Brian Benjamin Sheftan:
Greeks and Greek Imparts in the South of Iberian Peninasula. The Archeological evidence.
Phonizier in Westen
Hans Georg Niemeyer, Germany 1982, page 337 - 368.

الجيليجماي مغادرة المكان ، كما يروي هيريدوت ، وذلك لأسباب غير واضحة . التجأت الجماعة الاغريقية الى قبيلة أخرى وهي قبيلة الاسبوستاي التي قبلتهم بعد تفهم لوضعهم الصعب على ما يبدو ، فهم أولاً مهدّدون بالقتل اذا عادوا الى جزيرتهم(٣) تيرا ، وهم مهدّدون بالقتل اذا عادوا الى أرض الجيليجماي . ويبدو أن ملك قبيلة الاسبوستاي قد آواهم ، اما لاعتبارات انسانية أو رأى فيهم فرصة لتقوية مكانته العسكرية عن طريق الاستفادة منهم كمرتزقة . ذلك أن كل قبيلة في ليبيا كانت تحتل مساحة محددة ، كان لها عليها السلطة كاملة ، وشيخ القبيلة يتمتع بسلطات واسعة ويلقّب بلقب باتوس (Batus) أي ملك ، والتنافس قوي بينه وبين رؤساء أو ملوك القبائل الأخرى ، برغم أن الكثافة السكانية لم تكن كبيرة نظراً لسعة الأرض وطبيعتها الرعوية(٤) . وهاتان الصفتان يمكن أن يكون لهما أثر على توطين الاغريق في منطقة تعتبر نسبياً بعيدة عن البحر ، اذ من المستبعد أن يجرأ الاغريق على التوغل والاستقرار في الداخل لو لم يكن الأهالي أنفسهم قد وطّنوهم حول نبع كيري(Cyre) في منطقتهم وزوّجوهم من بعض بناتهم وأعطوهم نظاماً ملكياً شبيهاً بنظامهم ولقبوا ملكهم «باتوس» الصفة التي ظلت تلازم الاغريق حتى نهاية الملكية في قورينا . ويدعم هذا التصور عدة قرائن أهمها : ان المجتمع القوريني لم يكن قط مجتمعاً اغريقياً صرفاً : فالتزاوج بينهم وبين الليبيين أمر معترف به من قبل جميع الدارسين ، كما أن اسم باتوس ، والذي أطلقه سكان المدينة على أكثر من نصف ملوكهم هو كلمة ليبية وتعني(٥) ملك . تزوج اليونانيون من نساء ليبيات ، ولهذا صار المجتمع مزيجاً من التقاليد الليبية واليونانية ، فالنساء القورينيات لا يأكلن لحم الخنزير وكذلك لحم البقر الذي حرّم تقديساً للإله أزيريس(٦) المشبه ببقرة . بنى الاغريق في المدينة الجديدة معابد

(٣) قانون المهاجرين يقضي بقتل من يعود من بعثة استعمارية. للمزيد أنظر:

N. Hammand: **History of Greece** - page 120.

يشار له فيما بعد باسم هاموند. أنظر أيضاً: A.J. Greham

The Colonial Expansion of Greece, **Cambridge Ancient History** - Vol. III, part 3 - Cambridge Univ. Press. Cambridge 1982.

فيما بعد يعرف باسم جراهم.

(٤) جراهم ، صفحة ١٣٥ .

(٥) K. Freeman **Greek City State** - N.Y. 1983, P. 210.

يشار له فيما بعد باسم فريمان.

(٦) أور ، صفحة ١٥٩ .

للإله الليبي آمون ذي القرنين عوضاً عن إلههم زيوس الذي أحدثوا بينه وبين آمون تمازجاً فيما بعد(٧) . قام الاغريق بدفن موتاهم في مقابر شرقية ليست لها صلة بالتراث الجنائزي اليوناني. اسم مدينة قورينا نفسه اسم ليبي ، عكس ما اعتاده المستعمرون الاغريق في تسمية المستعمرات الجديدة بأسماء مدنهم الأصلية أو آلهتهم أو أبطال مشهورين عندهم ، قورينا ، وهو اسم المدينة الأولى التي تواجد فيها الاغريق بليبيا ، كلمة مشتقة من (Cyre) سيرى ، وهو اسم للنبع الذي حوله قامت المدينة ، وتحكي الأسطورة الليبية القديمة أن كيري أو سيري هذه كانت صيادة ماهرة وشجاعة ، وعندما نذر ملك المنطقة بأنه سيعطي مملكته لمن يخلّصها من شرّ الأسد المفترس ، قامت كيري بالمهمة ونالت الجائزة . ومهما كانت الأسطورة فإن اليونان المهاجرين قد جعلوا قورينا إلهة حامية لهم الى جوار إلههم أبوللو الذي جلبوه معهم(٨) .

عليه يمكن القول بأن مزيجاً من حضارتين بدأ ينصهر في قورينا ، حضارة وافدة ، لكنها غالبة وحيوية ونشطة ومجدّدة ، وهي الاغريقية ، وحضارة تقليدية رعوية وبسيطة وشبه راكدة ، لكنها أصيلة وواثقة من نفسها . وتخبرنا المصادر عن محاولة الليبيين تلبيب الاغريق عن طريق تلقينهم العادات والتقاليد الليبية ، وبالذات ما يتعلق منها بالحرب والفروسية . ويذكر هيريدوت (Book IV 120) في هذا المجال أن الليبيين من قبيلة الاسبوستاي قد قاموا بتدريب اللاجئين الاغريق على فنون ركوب العربات التي تجرّها أربعة خيول . ويذكر شاعر اليونان الكبير بندار(Bendar) في قصيدته البوثية التاسعة قصة مفادها أن أحد أبناء تيليسكراتيسيا اليوناني القوريناني قد تقدّم الى ملك قبيلة الجيليجماي طالباً يد ابنته ، وكانت العبادة تقضي بأن يشترك هو وغيره من المتقدمين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة كزوجة له . وكان الفائز في هذا السباق هو ابن تيليسكراتيس ، وقد حيّاه الفرسان الليبيون تحية النصر(٩) بروح رياضية عالية . علاوة على هذه العلاقات الاجتماعية تحرّك المهاجرون الاغريق في تأسيس علاقات تجارية بينهم وبين جيرانهم الليبيين الذين وجدوا فيهم نافذة أطلت بهم على عالم تجاري واسع لم يعهدوه من

---

(٧) Aric Bates. The Eastern Libyans, Franc Cass Co. (1970)
يشار اليه فيما بعد باسم بيتس.

(٨) فريمان ، صفحة ٢١٠.

(٩) مصطفى عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم. بنغازي : الجامعة الليبية ، ١٩٦٦ . ص ٥٦ يشار اليه فيما بعد باسم مصطفى عبد العليم.

قبل، اذ صار بإمكان بضاعة وسط افريقيا التي كان تجار القوافل الليبيون يستوردونها، والبضائع الليبية أيضاً، أن تجد طريقها وبكميات ضخمة الى كل أنحاء العالم المعروف. كما صار في إمكان البضائع الأوروبية أن تصل الى أيدي الليبيين الذين كانوا يقومون بنقلها للداخل. وهكذا نشأت دورة اقتصادية واسعة وكبيرة استفاد منها الليبيون كثيراً، وأعطت في نفس الوقت قيمة ودعماً قويين للتواجد الاغريقي بالبلاد، سيؤثر سلباً على أية محاولة وطنية للتخلص من المعمرين الاغريق كما سنرى فيما بعد. خصوصاً بعد تحسّن الظروف الاقتصادية العالمية في تلك الفترة بسبب اتساع دائرة استعمال النقود مما سهل وشجع عمليات التبادل التجاري(١٠) الواسع المدى. نتج عن كل هذا التفاعل مجتمع ذا صفات مزدوجة ليبية — اغريقية، حافظ على مقوّماته المشتركة طيلة وجود الاستعمار اليوناني بليبيا. وقد أثارت هذه الازدواجيّة الحضارية شكاً حول اغريق قورينا مما دعى بالاغريق الآخرين الى رفض قبولهم في العالم الهليني واعتبارهم ليبيين أجانب، كما في النقش الذي عثر عليه في قورينا ويعود لزمن الأمبراطور هدريان. يقول النقش: — «ان القوريناثيين يعتقدون بأنهم هيلنيين، وعلى الهيلنيين قبولهم. ان زعمهم بأنهم يستطيعون إرجاع أصولهم الى القبائل الأخية أو الدورية الاغريقية هو زعم باطل. انهم ليبيون اكتسبوا هيلينيتهم وحقوق المواطنة الهيلينية من طرق خفية وغير صحيحة(١١).

ولعلّ هذا التكوين الليبي الاغريقي المشترك، هو الذي مكّن للإغريق في البلد وشلّ حركة الليبيين في اتخاذ موقف موحّد تجاههم وذلك نتيجة لاختلاف الحكم عليهم، هل هم ليبيون اغريق أم اغريق ليبيون؟.. خصوصاً في المرحلة المبكرة لتواجدهم في ليبيا.

هذا التطوّر الإيجابي في العلاقات انتهى بوفاة ملكي قورينا باتوس الأوّل (٦٣١ ـ ٥٩١م)، وأركيسيلاوس الأول (٥٩١ — ٥٧٥م)، وتولى باتوس الثاني الذي قام سراً بدعوة جماعات جديدة من الاغريق للقدوم والاستقرار في ليبيا التي أشاعوا عنها الغنى والثروة

---

(١٠) **Shimon Applebaum:**
Jenos and Greeks in Ancient Cyrene Hieden, Brill (1979) page 15.
يشار له فيما بعد باسم ابليباوم..

(١١) James H. Olovier: The Inscription at Cyrene - **Hesperid** Vol. 20 (1951) page 32 F.
يشار له فيما بعد باسم أوليفر.

ترغيباً في الهجرة اليها. هذا التطور الجديد اعتبره الليبيون خرقاً لأصول الضيافة والتفاهم السابق، ورأوا فيه خطراً يهدّد وجودهم بأكمله. فنهضوا لمقاومته، ولكن بعد فوات الأوان. ذلك أن الاغريق كانوا يتحركون نحو هدف محدّد وواضح لديهم، لهذا عملوا على الاستفادة من سنوات السلم في التمكين لأنفسهم محلياً، وراهنوا على التيارات والقوى الناجحة في حركة الصراع العالمي المعاصر لهم. لقد كانت دعوة باتوس الثاني نفسها حركة سياسية بارعة، القصد منها كسب أنصار دوليين لهم عن طريق دعوة جماعات من جميع أنحاء العالم الاغريقي للمجيء والاستقرار على أساس «الحقوق المتساوية والأرض الجاهزة للتسليم»[١٢]. كما يقول نص الدعوة.

توجه أحد زعماء الليبيين واسمه اديكران Adikran، كما يسميه هيرودوت، الى مصر طلباً للنجدة، وكان يحكمها الفرعون ابريس (Apries) من الأسرة السادسة والعشرين والتي كانت أصلاً من مدينة سايس، ويرجح البعض أنهم من أصل ليبي. استجاب ابريس لطلب الليبيين وأرسل جيشاً لنجدتهم، تقابل الجيشان حول نبع تيستي (Theste) في منطقة أراسا (Irassa) كما يروي هيريدوت (Book IV 139) في سنة ٥٧٠ ق. م.. ودارت الدائرة على المصريين والليبيين. ولعل من أسباب هذه الهزيمة عدم تحمّس كل القبائل الليبية لهذه الحرب، وكذلك التواجد الاغريقي العسكري والحضاري المكثّف في احدى القوى الكبرى في ذلك الوقت وهي مصر، بدليل أن الفرعون لم يستطع إرسال جيشه النظامي لهذه الحرب لأن غالبيته، خصوصاً قياداته العليا، كانت من المرتزقة الاغريق، عليه أمر بتكوين جيش على عجل من الفئات الشعبية الغير مدرّبة تدريباً راقياً، لهذا سهل على اغريق قورينا هزيمتها. والأخطر من ذلك أن القوى الاغريقية في مصر لم ترض عن استجابة ابريس لنداء الليبيين، فقاموا بتحريض أوانهم للإطاحة به. وبالفعل تمكّن عميلهم أماسيس (Amassis) بالإطاحة به بدعوى أنه هزم في معركة أراسا (Irassa) وتولى هو الحكم بدلاً منه. منهياً بذلك أيّ أمل لليبيين في مساعدة مصرية، بل العكس، تطميناً لاغريق قورينا، قام بتزوّج إحدى بناتهم ووضع تحت تصرّفهم المباشر كل امكانيات مصر[١٣] المعنوية

(١٢) ابلبياوم، صفحة ١٥.

(١٣) فريمان، صفحة ٢١٢.

والمادية . ووثق كل ذلك بمعاهدة صداقة ودفاع مشترك ، أرسل تنفيذاً لبنودها ، جيشاً من المرتزقة الاغريق الى قورينا ووضعه تحت إمرة ملكها مباشرة[١٤] .

لم يبق أمام الليبيين إلا الاعتماد على أنفسهم أو الالتجاء الى قرطاجة الحليف الطبيعي لهم في صراعهم ضد اليونان . وبرغم أن المصادر لا تسعفنا كثيراً في هذا المجال إلا أن بعض الاشارات المتناثرة هنا وهناك في الكتب التاريخية القديمة ، وكذلك الآثار التي أمكن العثور عليها توحي على قلّتها بأن علاقات كانت قائمة بين الليبيين المجاورين لقورينا وبين قرطاجة. فالمؤرخ سالوست مثل (Jug LXXIX) يذكر بأن حروباً طاحنة ومريرة قامت بين القوتين. من ذلك أنه بعد هزيمة الاغريق لليبيين في معركة أراسا وسيطرتهم على صنع القرار السياسي والعسكري المصري عن طريق عميلهم الفرعون أماسيس ، رأى الاغريق في ذلك كله فرصة لهم لزيادة اتساعهم غرباً داخل مناطق النفوذ القرطاجني واشغال القرطاجيين عن التفكير في مساعدة الليبيين لطرد الاغريق من قورينا ، فقام دوريس أخ ملك اسبرطة الدوري بمحاولة للاستيطان في منطقة وادي كعام (Cinyps) كما كان يسمى . وكان ذلك سنة ٥١٣ ق.م. تقريباً .وبعد سنتين من الصراع الدامي تمكّن الليبيون والقرطاجينيون من طرد الاغريق من وادي كعام[١٥] . في هذا الوقت تقريباً دخل مسرح الصراع الدولي قوة أوروبية جديدة هي روما ، زادت من انهاك قرطاجة واشغالها عن أي محاولة لمدّ يد العون لليبيين في الشرق رغم أنه في سنة ٥١٨ ق. م. وقّعت قرطاجة مع روما أول معاهدة اعترفت فيها روما بأن شمال افريقيا يشكل مجالاً حيوياً لقرطاجة لا يجب التعامل معه من قبل أي قوة دولية أخرى إلا بعد اذن قرطاجة .

اذا لم يبق أمام الليبيين إلا الاعتماد على أنفسهم بعد أن حرمهم الاغريق من أي حليف قوي يسند ظهرهم . عندها قرر الليبيون خوض حرب طويلة ومضنية ضد عدو عارف بأصول اللعبة الدولية وقادر على الرهان على التيارات والقوى الفاعلة في ذلك الوقت . لم ييأس الليبيون ، وخاضوا أول معاركهم الصمودية ضدّ الاغريق في موقعة لويكون (Leukon) المشهورة . جمع ملك قورينا أركيسيلاوس الثاني لها أعداداً ضخمة من المرتزقة الاغريق وقابل الليبيين سنة ٥٥٠ ق. م. ، وانتهت المعركة بهزيمة فادحة للاغريق ، فقدوا فيها حسب رواية

(١٤) ابلبياوم ، صفحة ١٧ .

(١٥) أور ، صفحة ١٠٩ .

هيريدوت نفسه (Book VI) أكثر من ٧٠٠٠ سبعة آلاف جندي راقي التدريب والتسليح[١٦].

ولعل من حسن حظ الاغريق أن استولى الملك الفارسي قمبيز الثالث على مصر سنة ٥٢٥ ق. م. ، فسارع اغريق قورينا الى اعلان ولائهم له وطلب المساعدة منه ضد القبائل الليبية التي تهدّدهم وترفض الخضوع للملك الفارسي. أرسل قمبيز حملة كبيرة قصد الاستيلاء على ممالك الواحات وبالذات التي يقع بها معبد الإله آمون[١٧] الليبي ذي القرنين، وهي مملكة سيوة. فقد جندت هذه المملكة وحي وحي الاله آمون في الدعاية ضد الفرس وأشاعت بأنهم سوف ينهزمون وعلى القبائل الليبية أن لا تخضع لهم. وفي الطريق الى سيوة فشلت الحملة الفارسية بفعل رياح رملية عاتية، الأمر الذي اعتبر انتصاراً للإله آمون وتصديقاً لنبوءاته[١٨] بهزيمة الفرس.

زادت هذه الحادثة في اتساع دائرة الرفض للنفوذ الفارسي بين القبائل الليبية التي تمكنت من قتل ملك مملكة برقة الليبي واسمه العزار (Alazier) وقتلوا معه صهره الاغريقي أركيسيلاوس الثالث ملك قورينا، والذي كان على ما يبدو في زيارة لوالد زوجته. قامت والدة الملك الاغريقي واسمها فراتيمي (Phretima) بالاستنجاد بالحاكم الفارسي أرياندس (Aryandes) المقيم في مصر. وجد الفرس في ذلك فرصة لإخضاع القبائل الليبية المتمردة كما يؤكد هيريدوت (Book IV 200) فانطلقت حملة حاصرت التجمع الليبي في برقة التي حوصرت لمدة تسعة أشهر استسلمت المدينة بعدها للفرس الذين سلّموها لفرتيمي التي أعملت

(١٦) غالبية المؤرخين المعاصرين يعطون السبب المباشر لهذه المعركة هو الصراع الذي حدث في البيت المالك القوريناني وكيف أن اخوة أركيسيلاوس لجأوا الى المدينة الليبية برقة وشجعوا الليبيين على محاربة أخيهم. ورأى أن هذا تعليل جائز لكنه ليس الوحيد، فالليبيون وحدهم كانوا سيستعدون لقتال الاغريق، كما أن أتباع رأي هيريدوت في أن هؤلاء الاخوة الفارّين هم الذين أسسوا مدينة برقة رأي تناقضه طبيعة قورينا التي ظلت دائماً ليبية في أسسها ومواقفها وملوكها. والموضوع كله يحتاج لإعادة دراسة مستفيضة عساها تخرج مستقبلاً. للمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة، أنظر: بيتس صفحة ٢٣٠، ومصطفى عبد العليم صفحة ٥٧، وابلبياوم صفحة ١٧.

(١٧) لمعرفة الفرق بين آمون مصر وآمون ليبيا، أنظر: بيتس ص ١٧٢ وما بعدها.

(١٨) محمد سليمان أيوب: جرمة في عصر ازدهارها — **ليبيا في التاريخ** — المؤتمر التاريخي ١٦ — ٢٣ مارس ١٩٦٨، اشراف واخراج فوزي جاد الله، كلية الآداب الجامعة الليبية، ص ١٥٥ وما بعدها. يشار له فيما بعد باسم: محمد أيوب، جرمة.

القتل في الكثير من سكانها ، ومن بقي منهم أخذهم الفرس وهجروهم الى فارس حيث بنوا مدينة هناك سموها باسم برقة تخليداً لمدينتهم الأم . أما صلب التجمع الليبي حول برقة ، فقد قام بملاحقة الجيش الفارسي المتراجع وألحقوا به الخسائر الفادحة كما يذكر هيريدوت ، اذ «أثناء انسحاب الفرس وقع الكثير من الأسرى في يد الليبيين الذين قتلوا جلّهم(Book IZ, 200-5) لكنهم مع ذلك فشلوا في تخليص أسراهم من الفرس الذين قاموا بنقلهم الى فارس كما أشرنا .

ومنذ هذا الحين وحتى مجيء الاسكندر المقدوني ، صارت كل المدن الاغريقية في ليبيا تابعة ومحمية من قبل الملك الفارسي. أما القبائل الليبية فقد قرر هيريدوت وصفها بقوله :

«القبائل الليبية كثيرة ومتعددة الاتجاهات ، وبالرغم من أن بعضها خضع للملك (الفارسي) إلا أن الجزء الأكبر منها لم يكترث بداريوس (ملك فارس في ذلك الحين) على الاطلاق» .

أما الفريق الأول ، فقد خضع للفرس خوفاً منهم أو قناعة ورغبة في التخلص من الاغريق ، خصوصاً بعد اتضاح نية الملك أكسركميس في غزو أوروبا وتدمير المدن اليونانية المناهضة له . ويذكر هيريدوت : أن هذه القبائل قد ساهمت في الحملة الفارسية الكبرى على أوروبا في أوائل القرن الخامس ق. م. وأرسلت فرقة ليبية كاملة التجهيز للحرب مع الفرس ضد الاغريق. وجهزت بالرماح والنبال والملابس العسكرية الجلدية الواقية (Heridett, VII, 71) ، ولا نعرف شيئاً عن مصير هذه الفرقة.. هل قتلت في أوروبا أم عادت الى فارس واستقرّ أفرادها مع الليبيين السابقين لهم بفارس في مدينة برقة كما أشرنا سابقاً؟.. أو أن من بقي منهم عاد الى بلاده الأصلية بليبيا؟..

أما الفريق الثاني المعادي للخضوع لأي سلطة فارسية أو غيرها فقد أشارت المصادر الى تدعيمهم لثورة قوية ضد الفرس بمصر ذلك أن أحد زعماء الدلتا في ذلك الوقت واسمه أناروس (Inarus) ، ابن بساماتيكوس (Psamaeetichus) الليبي الأصل كما يذكر الاستاذ بيتس قام بثورة ضد الفرس مدعوماً في ذلك بتحالف قوي ، المبادرة فيه كانت لقبيلة المارماريكاي. تقابل الثوار مع الحاكم الفارسي أخايمينيس (Achaemenes) في عدة مواقع بين سنة ٤٦٠ و٤٥٤ ق. م. ، وفي إحداها تمكن أناروس من قتل أخاريمينس بعد هزيمته وتقتيل معظم جيشه. تقدم بعدها أناروس صوب ممفيس العاصمة المصرية وحاصرها ولكن

فشل في أخذها، بل أرغم على التخلي عنها مبتدئاً شرط الهزيمة الذي انتهى بالقبض عليه وصلبه من قبل الفرس(١٩).

كان لبروز فارس كقوة عالمية أثر على مجريات الأمور في ليبيا وشمال افريقيا عموماً وغربي البحر المتوسط جملة حيث مجالها الحيوي. وبرغم سوء الفهم الذي حدث بين قمبيز وقرطاجة في البداية، إلا أن الاستراتيجية العليا للقوتين الشرقيتين قد التقتا في النهاية ونشأ بينهما ما أسماه الأستاذ جلبرت بيكارد بالتحالف السامي الايراني ضد أوروبا(٢٠). ذلك أن مصلحة الاثنين، ربما التجارية بالنسبة لقرطاجة والسياسية بالنسبة لفارس تقضي بمعارضة الاغريق أو أية قوة منافسة لها في المنطقة.

في البداية عزم قمبيز على القضاء على قرطاجة بالقوة المسلحة، لكن خلفاءه سرعان ما أدركوا خطورة مثل هذا التصرف. فوجه داريوس بعض المراسلات لقرطاجة وجاء بعده أكسركيس (Xerxes) فأرسل بسفارة رفيعة الشأن لقرطاجة بين سنوات ٥٠٠ ق. م.. وكان مغزى السفارة هو اخطارهم بعزمه على غزو أوروبا وبالذات اليونان من جهة الشرق ودعوتهم هم لغزوها من الغرب، أي من سيشيليا وجنوب أوروبا. وبرغم أن مشروع الغزو قد فشل كلياً على الجبهتين، إلا أن انعكاساته ظلت ملاحظة على الساحة الليبية لفترة طويلة وبدرجات متفاوتة. من ذلك أن قرطاجة، خصوصاً بعد هزيمتها النكراء على يد الاغريق في معركة هيميرا (Himera) بسركوزة سنة ٤٨٠ ق. م.، قد غيرت جذرياً كل استراتيجياتها السابقة فيما يطلق عليه المؤرخون «ثورة قرطاجة»(٢١) على ذاتها. ذلك أن طموحات التوسع الخارجي قد اصطدمت بقوة الاغريق، عليه وجب التوجه نحو الداخل وتأكيد علاقاتها الممتازة مع من يسميهم المؤرخ البيزنطي(٢٢) «أبناء عمومتها» أي المغاربة حتى تتمكن من تحقيق قوة ذاتية

---

(١٩) بيتس، صفحة ٢٣١.

(٢٠) Gilbert, R. Picard:
The Life and Death of Carthage - Sedgwich & Jacksen London (1968) p. 79.
يشار له فيما بعد باسم بيكارد.

(٢١) A.R. Hands:
"The Consilidation of Carthagenian, Power in the fifth century.", **Africa in Classical Antiquity,** Edited L.A. Thompson & J. Fergason, Ebadan Univ. Press (1969) p. 86.
يشار له فيما بعد باسم هاندس.

(٢٢) Procopoius:
History pfof the Wars, IV X. 12 - 42, Harvard University Press (1968)

معتمدة على استقرار سياسي متين. من أجل هذا ألغت النظام الملكي واستبدل بنظام أكثر ديمقراطية يقوم على أساس انتخاب شخصين أو «صوفيين» لادارة الدولة يعاونهما مجلس مكوّن من مئة شخص. مما آتاح الفرصة أمام بعض الليبيين لاثبات وجودهم في بعض دواليب الدولة كما أن بعضهم مكّن من الانخراط في الجيش القرطاجي، ولتأكيد هذا من الناحية الاقتصادية عمدت قرطاجة الى التوسع الزراعي في المناطق المجاورة بالتعاون مع المغاربة مما أوجد قاعدة زراعية مختلطة كما أنها شجعت الصناعة ومنعت استيراد أي بضاعة مصنّعة من الخارج وعمدت الى إرسال البعثات الاستكشافية لجلب المواد الخام للصناعات المحلية، كما قامت في نفس الوقت بتأكيد تواجدها في محطات تجارة القوافل المهمة من أمثال صبراتة ولبدة وغيرهما. ولاعطاء كل هذا التوجه التوفيقي بعده الروحي، سعت قرطاجة الى ايجاد قاعدة دينية مشتركة بينها وبين المغاربة، فأوقفت العبادات القديمة مثل عبادة ملكارت Melqart وعشتار واستبدلتهما بعبادات جديدة هي عبادة بعل آمون وهو مزيج من بعل الفينيقي وآمون الليبي، وجعلت لهذا الاله رفيقة ليبية باسم تانيت(٢٣).

وهكذا ساعد هذا الموقف القرطاجي الجديد على ايجاد مناخ من التفاهم المشترك بين القرطاجنيين والمغاربة، مما أقلق الاغريق والرومان ولفترة طويلة لاحقة.

من المعلوم أن قبيلة الناسامون كانت تستوطن الجزء الأكبر من مناطق سيوة وجالو وأوجلة وتمتد حتى شرقي سرت. وكانت من القبائل الليبية النشطة في التجارة بين الساحل ووسط افريقيا. وليس من المستبعد أن يكون هناك تفاهم أو حتى اتفاق بين الناسامون والقرطاجنيين بدافع المصلحة المشتركة للطرفين والتي أصبحت الآن مهددة بسبب التواجد والانتصار الاغريقي في الشمال والذي يعني حرمان الناسامون والقرطاجنيين من فوائد تجارية كبيرة. ولعل هذا يفسّر البروز الواضح لدور الناسامون في محاربة الاغريق خلال النصف الأخير من القرن الخامس ق. م. ، والذي لا نستغرب أن يكون للقرطاجنيين دور في اذكائه. خصوصاً اذا

---

(٢٣) بالرغم من شبه الاجماع على كون تانيت ليبية. هناك من يعترض، ومن بين هؤلاء الاستاذ G. Charles Picard الذي يقول باغريقية تانيت ويرى انه برغم مقاومة القرطاجنيين للتوسع الاغريقي، إلا انهم استسلموا لهم روحياً وتشبهوا ببعض آلهتهم والتي منها تانيت. الواقع أنه يصعب تصور أن يعادي القرطاجنيين الاغريق عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ويستسلمون لهم معنوياً خصوصاً وأن المخزون الديني الفينيقي لا يقل عن الاغريقي، كما ان الاسم تانيت هو لغوياً اسم ليبي ولا وجود له في الاغريقية. للمزيد أنظر: هاندس، صفحة ٩٧، سطر ٢٢ — ٢٦.

تذكرنا أن انتصار الاغريق على الفرس والقرطاجنيين في حروبهم خلال سنة ٤٩٢ — ٤٧٩ ق. م. قد قطع القرطاجنيين كلياً عن البحر المتوسط بما فيه اتصالهم بمدنهم[٢٤] الأم في فينيقيا.

ومن حروب الناسامون التي حفظتها لنا المصادر، حربهم سنة ٤٥٠ ق. م. ضدّ قبيلة البسيلي (Psylli) وذلك لأسباب غير واضحة حتى الآن، ولكن قد تكون المنافسة والتخلص من غريم تجاري من بين العوامل الدافعة لهذا التدمير الذي وقع بقبيلة البسيلي والطرد الكلي لهم من مواطنهم بمنطقة سرت[٢٥].

وفي سنة ٤١٣ ق. م.، تزعمت قبيلة الناسامون صفاً قبائلياً ليبياً كبيراً ضد الاغريق، تمكن من اجتياح الكثير من المواقع الاغريقية ووصل التجمع الى مدينة يوسبريدس (بنغازي الحالية) وحاصرها فاستنجد الاغريق داخلها باسبرطة التي أرسلت لهم أسطول بقيادة جيليبوس (Gylippus) مكّنهم من فكّ الحصار وطرد المحاصرين.

مما سلف، نرى أن الصراع الليبي الاغريقي استمرّ قوياً خلال القرنين السادس والخامس ق. م.، وذلك رغم قلة المصادر المتكلمة عنه كما لاحظتم، لكنه وبكلّ تأكيد كان مدوياً في كل الآفاق بدليل أن فطاحل شعراء العصر قد ذكروه، وأبرع رسّامي ذلك الزمان خلّدوه، فهذا هو أكبر شعراء الاغريق في القرنين السادس والخامس ق. م.، إن لم يكن أكبرهم في جميع العصور وهو بندار (Pindar) (٥١٨ — ٤٣٨ ق. م.) قد استشهد بهذا الصراع حين أراد أن يمدح أحد المنتصرين في السباق ويثبت أنه كان مصارعاً عنيداً رغم قوة خصمه، فشبهه بهرقل أكبر أبطال الاغريق المعروف بقصر قامته، بينما شبّه خصومه بالبطل الأسطوري أنتايوس (Zntaeus) الذي لم يتغلب عليه هرقل في مبارزة بينهما إلا بالحيلة والخديعة (Pindar, Isthm. IV 50 -55). أما رسماً، فإن متحف اللوفر الفرنسي لا زال يحتفظ بإحدى روائع الفن القديم للرسام الأثيني أوفرونيوس (Euphrenius — أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس ق. م.) وهي عبارة عن لوحة تمثل الليبي أنتايوس يصارع[٢٦] الاغريقي هرقل.

---

(٢٤) للمزيد أنظر: بيكارد، ص ٤٤ وما بعدها.

(٢٥) بيتس، ص ٢٣١.

(٢٦) بيتس، ص ٢٦٠.

وبحلول القرن الرابع ق. م. ، صار ذكر المقاومة الليبية للاغريق أوفر. ومن المعلوم أنه في سنة ٤٤٩ ق. م. ، وقّعت فارس صلحاً مع أثينا الاغريقية ، وظلت قرطاجة وحدها تصارع الاغريق والرومان في غرب المتوسط وتزعمت سركوزة حركة المعارضة النشطة ضد قرطاجة ، وانحاز لها في هذا الصراع كل المدن الاغريقية بليبيا تقريباً. ويبدو أنه فيما بين ٣٧٨ و ٣٧٥ ق. م. تمكن دكتاتور سيراكوزة ديانوسيوس الأول (٤٠٥ — ٣٦٧ ق. م.) من فتح جبهة حرب جديدة لقرطاجة في شرق ليبيا ، وكانت النتيجة مخيّبة لآماله. فقد اجتاحت قرطاجة وحلفاؤها الليبيون ، من ناسامون وماكاي وغيرهم ، أراضٍ واسعة في عمق ما كان يعتبر مناطق نفوذ اغريقي. مما أرغم الآخرين على توقيع معاهدة سلام ضمنت فيها قرطاجة الكثير من الامتيازات التجارية والدفاعية ، ويؤكد ذلك كميات النقود القرطاجنية الوافرة التي عثر عليها في مدينة برقة[٢٧].

في النصف الثاني من القرن الرابع ق. م. تمكن الاغريق في غرب المتوسط من هزيمة القرطاجنيين ، خصوصاً في صقلية ، حيث تمكن تيميليون (TTimeleon) حاكم سيراكوزة — ٣٤٤ — ٣٣٧ ق. م. —) من الحاق الهزيمة بقرطاجة. وانعكس هذا الانتصار الاغريقي على سير الأحداث في ليبيا ، فانتعشت أمور قورينا وأخواتها وحاولت التمدد غرباً على حساب الليبيين. فما كان من الناسامون إلا أن تزعموا حلفاً جديداً ضم الماكاي وغيرهم ودخلوا مع الاغريق في صراع فيما بين ٣٤٠ — ٣١٠ ق. م. بدعم من قرطاجة. وقد عثر في قورينا على نقشين: الأول بمعبد الاله أبوللو ، ويتحدث عن انتصار اغريقي على قبيلتين ليبيتين بمنطقة سرت وهما قبيلتي الناسامون والماكاي. وكانت الغنائم المأخوذة من الكثرة بحيث أنها مكنت بلدية قورينا من بناء خزانة (Treasury) جديدة بكل توابعها ، كما بنى القادة الثلاثة في ذلك الوقت خزانة أخرى متكاملة داخل معبد الاله أبوللو. وداخل هذا المبنى الجديد وضع القادة كل الغنائم التي كسبوها من الناسامون والماكاي[٢٨].

(٢٧) ابلبياوم ، ص ٤٧.

(٢٨) يرى البعض أن تاريخ النقش هو القرن الثالث ، مثل الأستاذ مصطفى عبد العليم ص ٧٥ أما الأستاذ "Applebaum" فيرجع الرابع استناداً على نوع الخط وأيضاً لأن — Menesarchon أحد قواد تلك الفترة كان له ولد دفن قرب المدينة في نهاية القرن الرابع ولا يعقل أن يكون هو في القرن الثالث ق. م. ... أبلاوبون ، ص ٤٠ — ٤١.

أما النقش الثاني فقد عثر عليه في معبد الاله زيوس ، وعليه حفرت قائمة جنود مع ذكر لمعركة باسم معركة ايسا (Isa) أو عيسا[٢٩] على خليج سرت والى الشرق من مدينة بنغازي الحالية عثر على شاهد قبر عليه صورة منحوتة ونقوش يفهم منها بطولات للمتوفى من أجل المدينة أثناء اشتراكه في حرب ضد عدو في منطقة سرت . ويرجح ابلياوم[٣٠] النصف الأخير من القرن الرابع ق. م. كتاريخ لهذا النقش. أما من هي الأطراف التي حاربها جيش هذا الاغريقي ، فهذا غير واضح ، إلا أننا لا نستبعد الناسامون والماكاي كطرف في هذا الصراع وذلك لنشاطهم الملموس خلال هذه الفترة. ولا شك أن كلّ هذه الحروب تدل على تفوّق اغريقي في اطار الصراع الدولي بينهم وبين القرطاجيين الذين كانوا يعانون من أزمات داخلية وتحالف عسكري اغريقي قوي ، أطرافه سركوزة وقورينا و بوسبريدت وبرقة . والهدف المشترك لهؤلاء هو تقليص النفوذ العسكري والتجاري لقرطاجة وحلفائها الليبيين في المنطقة . وكان لظهور الاسكندر المقدوني سنة ٣٣١ — ٣٢٣ ق. م. ، أثر واضح في دفع التحالف الاغريقي خطوات في اتجاه السيطرة شبه التامة على ميداني الحرب الباردة والفعلية . إلا أن موته السريع والاضطراب الذي وقع بعده قد رفع من معنويات القرطاجنيين وحلفائهم الليبيين الذين أصبحوا شبه مسيطرين على كل المنطقة المحيطة بالمدن الاغريقية وتصادف ذلك مع قيام حرب أهلية داخل هذه المدن خصوصاً في قورينا. وتركز الصراع بين حزبي العامة والنبلاء الذين استعانوا بأحد قادة الاسكندر واسمه تمبرون (Thimbron) المقيم بكريت ، فجمع جيشاً من المرتزقة وحاصر المدينة. عندها لم يجد العامة أمامهم قوة يمكنها مقاومة هذا الجيش إلا قوة الليبيين وحلفائهم القرطاجنيين ، وبالفعل أرسلوا لهم في طلب العون. فتدخل الليبيون وحسموا الموقف لصالح الفقراء الذين أسرفوا في قتل النبلاء الذين بعثوا برسالة استنجاد عاجلة لحاكم مصر بطليموس لاجوس الذي أرسل لهم جيشاً بقيادة أوفيلاس (Ophellas) تمكن من طرد الليبيين من المدينة والقبض على تمبرون[٣١] وقتله مع جماعته. ورغب أوفيلاس في تأديب قرطاجة وملاحقة جيش القبائل الليبية الذي انسحب ولم يمكنه من القضاء عليه كما تمنى ، وراودته أيضاً أحلام تكوين مملكة واسعة تضم كل الشمال الافريقي خصوصاً وان حاكم

(٢٩) ابلياوم ، ص ٤٧.

(٣٠) ابلياوم ، ص ٤٤ ، وما بعدها.

(٣١) ابلياوم ، ص ٤٨.

سيراكوزة أجاتوكليس (Agathocles) وعده في مراسلات بينهما ، انه سيساعده في القضاء على قرطاجة وأخذ أراضيها . ولهذا كله جنّد جيشاً كبيراً من اغريق ليبيا وآلاف المهاجرين الجدد من العالم الاغريقي المضطرب بعد موت الاسكندر . فن المهاجرين الاثينيين وحدهم تمكن أوفيلاس من تجميع عشرة (١٠) آلاف مرتزق علاوة على المدن الاغريقية الأخرى . بدأ هذا الجيش اللجب رحلته الطويلة من قورينا صوب قرطاجة محاذياً الساحل الليبي الطويل . في هذا الوقت كانت أمور قرطاجة العسكرية في أسأ وضع ، اذ بينما كان جيشها منشغلاً بحروبه في صقلية ومحاصرة سيراكوزة بالذات ، قام أوجاتوكليس بتدبير حملة على افريقيا . وفي ٢٠ اغسطس سنة ٣١٠ ق. م. ، نزل بها وحاصر قرطاجة وقطعها من جميع الجهات ، لكنه فشل في أخذها ، فأرسل يستعجل أوفيلاس (Ophellas) بالحضور . وما أن وصل الأخير حتى قبض عليه وقتل سنة ٣٠٩ ق. م. ، وضم جيشه للجيش السيراكوزي . عندها صار الخطر مضاعفاً على قرطاجة وحلفائها الذين أثبتوا ولاءهم[٣٢] التام لها خلال هذه المحنة . فلم يسجل التاريخ أي انحياز ليبي مع الغزاة السيراكوزيين . وحتى الليبي الوحيد الذي فعل وهو أيليماس (Ailymas) سرعان ما تخلص منه الاغريق لعدم جدواه . في هذه الفترة ألغيت الملكية في قرطاجة وعينت للجيش قيادة جديدة من ثلاثة قادة كل تولى تنظيم جيش جديد في ناحية . وتمكنوا في فترة وجيزة من رفع الحصار عن قرطاجة وطرد الجيش السيراكوزي وتدميره نهائياً ولم يخلص أجاتوكليس من الموت (٦٢) إلا الهرب .

بهذا الانتصار رد الاعتبار ولو مؤقتاً لقرطاجة وحلفائها الذين يخبرنا المؤرخ باوزانيوس (Paus.1,7) بأنهم حاصروا قورينا ولم ينقذها إلا عودة ماجوس (حكم قورينا من ٣٠١ —

(٣٢) في مجال العلاقات الليبية القرطاجنية لا بدّ من الاشارة الى أن قرطاجة قد استفادت من علاقاتها الطيبة مع الليبيين واعتمدت عليهم كثيراً في أمورها الحيوية مثل : الجيش ، حيث وظّفت الآلاف من الليبيين في جيوشها لا كمرتزقة كما يحلو للكثير من المؤرخين ، بل كنظاميين يمثلون طرفاً متساوي الحقوق مع القرطاجنيين في الحقوق والواجبات ، واني أتفق مع الاستاذ تشارلز ويتاكر في تساؤله عن الأدلة التي اعتمد عليها المؤرخون في القول بأن جيش قرطاجة كان يتألف من مرتزقة من الليبيين . ويضيف نفس الكاتب بأن هناك أدلة وافرة على أنه منذ أواخر القرن الرابع ق. م. صار اعتماد قرطاجة قوياً على الليبيين كجنود في جيشها ، من ذلك ما يذكره بوليبيوس من أنه خلال الحرب البونية الثانية كان عدد الليبيين في جيش هانبال يقارب الخمسين في المائة ٥٠ ٪ علاوة على فرق خاصة متطوعة من النوميديين والكثير من القبائل المغربية الأخرى.

للمزيد حول هذه النقطة ، أنظر :

Charles R. Whittaker, "Land and Labour in North Africa" **Klio** 2 (1978), p. 331 - 362

٢٥٠ ق. م.) بجيش كبير طرد به الثوار (٣٣) واستعاد عرشه. إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً خصوصاً مع تزايد قوة روما التي بدأت خلال القرن الثالث ق. م. صراعها المرير مع قرطاجة من أجل اثبات الوجود في غرب المتوسط. ومنذ الآن تقريباً وحتى تدمير قرطاجة في سنة ١٤٦ ق. م. على يد روما، تحول اهتمام قرطاجة وحلفائها لمقاومة نفوذ روما في الغرب أولاً ثم للدفاع عن النفس في آخر المطاف. ومع عدم المهادنة الكاملة مع الاغريق في شرق ليبيا، إلا أن اهتمام القبائل الليبية قد تحوّل لمحاربة الرومان في غرب ليبيا في البداية، ثم في كل ليبيا فيما بعد. وفي كل المعارك الهامة تقريباً بين القرطاجيين والرومان نجد القبائل الليبية متواجدة فيه، من ذلك أن قبيلتي الناسامون والماكاي قد حاربتا الى جانب هانيبال في معركته الحاسمة ضد الرومان في موقعة زاما (Zama) الشهيرة (٣٤) سنة ٢٠٢ ق. م.. ومع انشغال القبائل الليبية النشطة في تدعيم موقف حليفتهم الكبرى قرطاجة، خلال القرن الثالث ق. م. استغل الاغريق الفرصة وتوسعوا غرباً حتى وصل نفوذهم الى يوفرانتس بيرجوس أو قصر زعفران الذي يقع غرب فيليني المهدوم بحوالي ٣٠٠ كم (Strabe, XVIII, 3).

(٣٣) بيكارد، ص ١٦٩.

(٣٤) مصطفى عبد العليم ص ٧٥.